

كلية الآداب
قسم التاريخ
محاضرات مادة (تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر الراشدي و الاموي)
م.م. وداد محمد عبد الله
المرحلة الثانية (الصباحية و المسائية)
2026 – 2025
المحاضرة (9)

معركة مرج الصفر

وقعت معركة مرج الصفر في الرابع من شهر محرم سنة 13هـ بين الجيش الإسلامي بقيادة خالد بن سعيد وجيوش الروم بقيادة ماهان الأرمني، بعد أن تتابعت الفتوحات الإسلامية نحو بلاد الشام. جاءت هذه المعركة ضمن صراع أوسع بين المسلمين والإمبراطورية البيزنطية، حيث كان الرومان يسعون لصد الزحف الإسلامي واستعادة السيطرة على الممالك العربية الواقعة تحت نفوذهم.

أسباب المعركة

ترتبط أسباب المعركة بعدة عوامل استراتيجية وعسكرية:

1. التمهيد للسيطرة على الشام: كان الجيش الإسلامي يسعى للتمدد والسيطرة على مناطق حساسة بين دمشق ومرج الصفر لضمان طرق الإمداد والاتصال.
2. استنفار العرب المنتصرة: دعا هرقل العرب المنتصرة من قبائل بهراء، سليج، تنوخ، لخم، جذام، وغسان للالتحاق بجيوش الروم، بهدف مواجهة الزحف الإسلامي.
3. اختلاف التكتيكات العسكرية: شجاعة خالد في الزحف السريع دون الالتزام بالقواعد العسكرية المعتادة أعطت فرصة للرومان لمراقبة تحركاته والاستعداد للفخ.

مجريات المعركة

بدأت الأحداث عندما استنفر هرقل قبائل العرب المنتصرة تحت قيادة ماهان الأرمني، وعسكروا في موقع قريب من آبل وزيراء والقسطل. هنا اصطدم بهم خالد بن سعيد بعد استئذان أبي بكر، وتمكن من تحقيق انتصار مبدئي وفرّ ماهان مع ما تبقى من جنوده. بعد الانتصار، طلب خالد الإمدادات لتعزيز قواته، واستجاب أبو بكر لطلبه. إلا أن تسرع خالد في التقدم نحو مرج الصفر دون إرسال طلائع استكشافية ترك جيشه عرضة للفخ. فقد تمكن ماهان من مراقبة تحركات الجيش الإسلامي وانتظر الفرصة المناسبة للهجوم. عند وصول الجيش الإسلامي إلى مرج الصفر بين الواقوصة ودمشق، قطع عليه الرومان خط الرجعة دون أن يدرك خالد ذلك، ثم التقوا حول الجيش وفاجأوه بالهجوم. فرّ خالد تاركًا الجيش تحت رحمة الروم، لكن عكرمة بن أبي جهل تمكن من إعادة تنظيم الصفوف والانسحاب بسلام نحو دمشق، محافظًا على بقايا القوات الإسلامية.

نتائج المعركة

1. الهزيمة التكتيكية للمسلمين: أظهرت المعركة محدودية قدرة القيادة في تلك المرحلة على إدارة الزحف بعيدًا عن قواعده.
2. توجيه اللوم لقيادة خالد: وصل الخبر إلى أبي بكر الذي عنف خالد واتهامه بالجبن والفرار، وأمره بالبقاء في موقعه وعدم التقدم دون تقدير المخاطر.
3. الحفاظ على القوات المتبقية: رغم الهزيمة، تمكن الجيش الإسلامي من الانسحاب بشكل منظم بقيادة عكرمة، ما أعطى فرصة لإعادة التجهيز والاستعداد لمعارك لاحقة.
4. تعزيز خبرة القيادة: كانت المعركة درسًا استراتيجيًا للقيادة الإسلامية حول أهمية الاستطلاع وإرسال الطلائع والتحضير للمفاجآت قبل الانقضاض على المواقع الحيوية.

مسيرة خالد بن الوليد من العراق إلى الشام

بعد انتشار المسلمين في الشام، وضع هرقل خطة عسكرية لضرب الجيوش الإسلامية منفردة، عبر التراجع التكتيكي والتجمع في فلسطين وأنطاكية لمواجهة الجيوش الثلاثة الإسلامية بشكل متسلسل، مستخدمًا أسلوب المناورة بالخطوط الداخلية. لكن القادة المسلمين، بعد مراجعة الموقف، قرروا اجتماع الجيوش في مكان واحد قرب بصرى، متجنبين الاشتباك المباشر مع البيزنطيين، مع تنظيم العمليات التالية لاحقًا. نفذ أبو عبيدة ويزيد وشُرحبيل هذا التراجع والتجمع، وكتب أبو عبيدة إلى الخليفة أبي بكر لطلب الموافقة، والتي وافق عليها. ورأى الخليفة الحاجة إلى قيادة فذة لإنقاذ المسلمين في الشام، فاختار خالد بن الوليد، الذي كان في الحيرة بعد انتصاراته في العراق. خرج خالد في 8 صفر 13هـ مع 9 آلاف مقاتل متجهًا إلى الشام، تاركًا 8 آلاف مع المثنى بن حارثة في العراق. سلك طريقًا وعرة عبر الصحراء (قراقر - عين التمر - سوى - أرك - تدمر - القريتين - الغوطة - بصرى) في خمسة إلى ثمانية أيام، خالية من معقل الفرس والروم. وعند وصوله الشام، حرص خالد على إحكام السيطرة على المناطق الخلفية، فأبرم صلحًا مع بعض القبائل وفرض الحصار على تدمر، مانعًا أي تهديد من البيزنطيين أو حلفائهم.

فتح تدمر والقريتين وحوارين

- استهدفت الحملات الإسلامية في الشام السيطرة على المراكز الاستراتيجية المحصنة لتأمين طرق الزحف وحماية مؤخرة الجيش من أي هجمات معاكسة. وظهرت تدمر والقريتين وحوارين كمحطات أساسية في هذا التقدم، فكانت أسباب فتحها كما يلي:
1. تأمين الخطوط الخلفية: كانت تدمر وحوارين تمثلان مراكز حيوية لتموضع الرومان وحلفائهم العرب، فتأمينها يضمن حماية الجيش الإسلامي أثناء الزحف نحو دمشق.
 2. تطهير المناطق من تهديدات العدو: وجود قوات معادية في هذه المدن يشكل خطرًا على حركة الجيش وعلى سلامة الإمدادات.
 3. الضغط النفسي والسياسي على السكان: إظهار قوة المسلمين وإصرار خالد بن الوليد على فتح المدن دفع الأهالي للتفاوض على الصلح، ما يسهل التوسع دون الحاجة لمعارك دموية طويلة.

مجريات الفتح

بدأت الحملة بمحاصرة تدمر من كل جانب، حيث تحصّن أهلها داخل المدينة. ومع إدراكهم صعوبة الصمود في ظل غياب دعم البيزنطيين، طلبوا الصلح وفتحوا أبواب المدينة للمسلمين، مؤكدين على استسلام سلمي.

بعدها واصل المسلمون تقدمهم إلى القريتين، حيث اعترضهم أهلها، فجرى اشتباك مسلح أسفر عن انتصار المسلمين. ثم توجهوا إلى حوارين، فحاول الأهالي التصدي وطالبوا بالمساعدة من المدن المجاورة، فجاءهم جيشان يزيد عددهما على أربعة آلاف مقاتل، لكن المسلمون اصطدموا بهما قبل وصولهما وشتتوا قواتهما، واضطر أهل حوارين لقبول الصلح.

واصل المسلمون زحفهم نحو غوطة دمشق، حيث اعترضهم الغساسنة بقيادة الحارث بن الأيهم، فجرى اشتباك آخر أسفر عن انتصار المسلمين، وتراجع الغساسنة إلى حصون دمشق. بعد ذلك، وصل الجيش إلى منطقة الثنية حيث نشر الزاية السوداء المعروفة بالعقاب، وأغاروا على بعض قرى الغوطة وعسكروا أمام الباب الشرقي لدمشق على دير صليبا، بينما تشير بعض الروايات إلى أن خالد عسكر عند باب الجابية الغربي وأجرى مفاوضات مع أسقف المدينة وعامل هرقل منصور بن سرجون، فتم التوصل إلى معاهدة صلح. خالد كتب كتابًا لأهل دمشق يتعهد فيه بعدم الاعتداء على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم، وأن لا تُسكن دورهم طالما أدوا الجزية، وهو ما يدل على أن الهدف المباشر لم يكن فتح دمشق آنذاك، بل تأمين مؤخرة الجيش قبل الزحف جنوبًا.

نتائج الفتح

1. السيطرة على المراكز الاستراتيجية: تم تأمين تدمر والقريتين وحوارين، مما ضمن خط دفاع قوي للجيش الإسلامي.
2. تحييد تهديد السكان المحليين: فرض الصلح على المدن قلل الحاجة لمعارك دموية وأثبت قدرة المسلمين على السيطرة دون تدمير شامل.
3. تعزيز الزحف نحو دمشق: فتح هذه المدن أتاح للمسلمين التقدم نحو غوطة دمشق ومحيط المدينة بأمان نسبي، مع الحفاظ على مؤخرة الجيش.
4. إظهار القوة العسكرية والسياسية: نجاح خالد في فرض الصلح بعد اشتباكات محدودة أظهر فاعلية القيادة الإسلامية في إدارة الميدان وفرض النفوذ.

فتح بصرى

كانت مدينة بصرى (مدينة أثرية تقع اليوم في محافظة درعا جنوب سوريا) لا تزال بيد الروم، حين تقدّم المسلمون بقيادة أبي عبيدة وشرحبيط ويزيد، فعبروا الغوطة من شمالها إلى جنوبها حتى بلغوا قناة بصرى، وهناك تجمعت الجيوش الإسلامية وفي هذه الأثناء، ومع تصاعد خطر المواجهة مع البيزنطيين، بادر خالد بن الوليد للتفكير في خطة حاسمة. فقد كان عمرو بن العاص قد تراجع بمحاذاة الضفة الغربية لنهر الأردن وهو يواجه ضغطًا شديدًا من جيش تذارق البيزنطي، مما وضع خالد أمام خيارين لا ثالث لهما: الأول، أن يأمر عمرو بن العاص بالإسراع إلى بصرى والانضمام إلى بقية الجيوش، فتجتمع القوى الإسلامية كلها في هذا الموضع، ثم تنتظر قدوم جيش أنطاكية البيزنطي المتجه جنوبًا بقيادة وردان حاكم حمص، لتدور المعركة هناك.

أما الثاني، فأن يسارع خالد بنفسه مع بقية القادة إلى نجدة عمرو بن العاص والاشتباك أولاً مع جيش تذارق، فإذا فرغوا من القضاء عليه عادوا بعدها لمواجهة جيش أنطاكية، وبذلك يضمنون حماية مؤخرة جيوشهم ويثبتون أقدامهم في فلسطين قبل التوجه إلى المعركة الكبرى. وتقرّر الخيار الثاني، وهو الأخطر والأصعب، وترتب على هذا الاختيار فتح بصرى أولاً للانطلاق منها نحو الهدف. لذلك شدّد المسلمون الحصار عليها وأجبروا أهلها على طلب الصلح. فكانت أوّل مدينة فُتحت صلحًا في الشّام، وأوّل جزية وقعت في هذا البلد في عهد أبي بكر، وفقًا لرواية البلاذري وقد خالفة كثير المورخين .

معركة أجنادين

بعد التقدم الإسلامي في فلسطين، أصبح وجود المسلمين في المنطقة تهديدًا واضحًا للإمبراطورية البيزنطية وحلفائهم من نصارى العرب. وعند هذه المرحلة، أدرك القادة البيزنطيون أن التصدي للمد الإسلامي يتطلب معركة فاصلة يمكنها إخراج المسلمين نهائيًا من فلسطين. أسباب المعركة:

1. خطر التوسع الإسلامي: انتشار المسلمين في فلسطين وتهديدهم لوجود الروم وحلفائهم المحليين.
2. الضغط على قوات المسلمين: تحرك عمرو بن العاص في جنوب فلسطين كان معرضًا لهجوم جيش تذارق، أحد كبار قادة الروم، مما زاد الحاجة للتنسيق العسكري.
3. تجمع ودعم البيزنطيين: هرقل بدأ بحشد قواته في أنطاكية وإرسال الإمدادات، مما عزز قدرة الروم على شن معركة كبيرة.
4. الحاجة إلى قوة موحدة: تفاديًا لمعركة متفرقة، قرر المسلمون تجميع الجيوش الأربعة في أجنادين لمواجهة الروم بكامل القوة بدلًا من القتال منفردًا.

مجريات المعركة

وصل جيش الروم بقيادة تذارق مدعومًا بعدد من نصارى العرب وسكان الشام، وكان جيشًا كبيرًا يفوق المسلمين عددًا. وفي يوم السبت 27 جمادى الأولى سنة 13هـ / 30 تموز 634م التقى الجيشان في سهل أجنادين.

بدأ الروم الهجوم معتمدين على تفوقهم العددي، لكن المسلمين صمدوا بقيادة خالد، الذي نظم صفوفه بحكمة وأحسن توزيع الألوية. ثم أمر بهجوم مضاد مركّز على ميمنة الروم، فاضطربت صفوفهم، وسرعان ما تحولت المعركة إلى هزيمة ساحقة للبيزنطيين، قُتل فيها تذارق وعدد من قادته.

نتائج المعركة

1. مثّلت أول انتصار حاسم للمسلمين في الشام، فكان لها أثر بالغ على سير الفتوحات.
 2. أضعفت الروح المعنوية للروم، وقلّ حماسهم لمواجهة المسلمين في الأراضي المكشوفة.
 3. حصل المسلمون على حرية حركة أوسع، ففتحو مدنًا كثيرة دون مقاومة تُذكر.
 4. اضطر الروم إلى تغيير إستراتيجيتهم العسكرية بالتحصن في المدن الكبرى بدلًا من القتال المكشوف، وهو ما قلّل من قدرتهم على التعاون فيما بينهم.
 5. هيأت المعركة الطريق أمام المسلمين للسيطرة على معظم فلسطين والتقدم نحو دمشق.
- يتضح من معركة أجنادين أن المسلمين، خلال سنتين فقط من خلافة أبي بكر رضي الله عنه، استطاعوا أن يثبتوا وجودهم في العراق وبلاد الشام، وأن يحققوا انتصارات فتحت أمامهم أبوابًا واسعة لمزيد من الفتوحات. لقد وضع أبو بكر القاعدة الصلبة، وسلّم لمن بعده أسسًا راسخة مكّنت المسلمين من متابعة مسيرتهم بثبات وقوة، حتى وافاه الأجل مساء الثلاثاء في 21 جمادى الآخرة 13هـ

=====